

الرَّسَالَةُ ٣٣١

أَعْوَادَهُمْ .. لِمَاذَا عَلَقُوهَا؟

(Arabic – Why did they hang their harps?)

أحبائي.. مَوْضُوعُ حَدِيثِنَا الْيَوْمَ عَنْ: أَعْوَادِهِمْ .. لِمَاذَا عَلَقُوهَا؟

وَمِنَ الْمَزْمُورِ السَّابِعِ وَالثَّلَاثِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ نَقْرَأُ الْأَعْدَادَ مِنَ الْأَوَّلِ حَتَّى الرَّابِعِ:

"عَلَى أَنْهَارِ بَابِلِ هُنَاكَ جَلَسْنَا. بَكَيْنَا أَيْضًا عِنْدَمَا تَذَكَّرْنَا صِهْيُونَ. عَلَى الصَّفَصَافِ فِي وَسْطِهَا عَلَقْنَا أَعْوَادَنَا. لِأَنَّهُ هُنَاكَ سَأَلْنَا الَّذِينَ سَبُّونَا كَلَامَ تَرْنِيمَةٍ. وَمُعَذِّبُونَا سَأَلُونَا فَرَحًا قَائِلِينَ: رَتِّمُوا لَنَا مِنْ تَرْنِيمَاتِ صِهْيُونَ. كَيْفَ نَرْتِّمُ تَرْنِيمَةَ الرَّبِّ فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ؟"^١

يَرْجِعُ تَارِيخُ كِتَابَةِ ذَلِكَ الْمَزْمُورِ إِلَى عَامِ خَمْسِمِائَةٍ وَتِسْعِ وَثَلَاثِينَ قَبْلَ الْمِيلَادِ تَقْرِيبًا. وَهُوَ تَعْبِيرٌ صَادِقٌ عَنْ مَشَاعِرِ الْأَسَى وَالْحُزْنِ وَالْمَعَانَةِ لِشَعْبِ اللَّهِ حِينَ كَانُوا فِي السَّبْيِ تَحْتَ اسْتِبْدَادِ مَلُوكِ بَابِلِ. وَبِاسْتِلْوَاقِ شَاعِرٍ أَخَذَ رَسْمَ كِتَابَتِهِ بِقَلَمِهِ صُورَةً مُعْبَّرَةً وَأَضْحَكَ الْمَعَالِمَ، لِأَحَاسِيْسِ شَعْبِهِ الْمَأْخُوذِ قَسْرًا مِنْ أُورُشَلِيمَ مَأسُورًا مُهَانًا إِلَى أَرْضٍ غَرِيبَةٍ. كَانُوا قَبْلَ السَّبْيِ بِأُورُشَلِيمَ يَسْبُحُونَ اللَّهَ الْحَيَّ فِي هَيْكَلِهِ مِنْذُ تَحْرِيرِهِمْ مِنْ عُيُودِيَّةِ أَرْضِ مِصْرَ. وَلَكِنَّهُمْ تَمَرَّدُوا عَلَى اللَّهِ وَاخْتَارُوا طَرِيقَ الْعَصِيَانِ وَالخِيَانَةِ. لِذَلِكَ فَقَدُوا حُرِّيَّتَهُمْ وَأَرْضَهُمُ الْمُقَدَّسَةَ وَأَسْلَمَهُمُ اللَّهُ إِلَى أَيْدِي أَعْدَائِهِمْ تَأْدِيبًا لَهُمْ. وَتَدَنَسَتْ أُورُشَلِيمُ بِأَصْنَامِ الْبَابِلِيِّينَ وَأَصْبَحَ الْهَيْكَلُ مَهْجُورًا. وَصَفَّهَا نَحْمِيًا بِالْقَوْلِ: "قَالُوا لِي عَنْ أُورُشَلِيمَ أَنْ الْبَاقِيْنَ الذِّينَ بَقُوا مِنَ السَّبْيِ هُنَاكَ فِي الْبِلَادِ هُمْ فِي شَرِّ عَظِيمٍ وَعَارٍ. وَسُورُ أُورُشَلِيمَ مُنْهَدِمٌ وَأَبْوَابُهَا مَحْرُوقَةٌ بِالنَّارِ. فَلَمَّا سَمِعْتُ هَذَا الْكَلَامَ جَلَسْتُ وَبَكَيْتُ وَنَحْتُ أَيَّامًا وَصُمْتُ وَصَلَّيْتُ أَمَامَ إِلَهِ السَّمَاءِ"^٢.

بَدَأَ الْكَاتِبُ مَزْمُورَهُ بِقَوْلِهِ الْمُؤَثِّرِ: "عَلَى أَنْهَارِ بَابِلِ هُنَاكَ جَلَسْنَا. بَكَيْنَا أَيْضًا عِنْدَمَا تَذَكَّرْنَا صِهْيُونَ. عَلَى الصَّفَصَافِ فِي وَسْطِهَا عَلَقْنَا أَعْوَادَنَا. لِأَنَّهُ هُنَاكَ سَأَلْنَا الَّذِينَ سَبُّونَا كَلَامَ تَرْنِيمَةٍ. وَمُعَذِّبُونَا سَأَلُونَا فَرَحًا قَائِلِينَ: رَتِّمُوا لَنَا مِنْ تَرْنِيمَاتِ صِهْيُونَ. كَيْفَ نَرْتِّمُ تَرْنِيمَةَ الرَّبِّ فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ؟". وَبِالتَّأَمُّلِ فِي كَلِمَاتِ ذَلِكَ الْمَزْمُورِ مَعَ تَطْبِيقِ مَعَانِيهِ السَّامِيَةِ تَطْبِيقًا رُوحِيًّا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَوْجِزَ تَأْمَلْنَا الرُّوحِيَّ فِي ثَلَاثَةِ أُمُورٍ:

أولاً: مَنْ هُوَ الْعَدُوُّ الْحَقِيقِيُّ وَمَاذَا يَطْلُبُ مِنْ أَسْرَاهُ؟.. إِنْ أَدَانْنَا تَسْتَقْبِلُ الْأَصْوَاتَ مِنْ مَصْدَرَيْنِ أَحَدِهِمَا تَابِعٌ لِمَمْلَكَةِ النُّورِ وَهُوَ صَوْتُ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ. وَالْآخَرُ تَابِعٌ لِمَمْلَكَةِ الظُّلْمَةِ أَيْ مَمْلَكَةِ إِبْلِيسَ. وَيَخْتَلِطُ أَحْيَانًا عَلَيْنَا الْأَمْرُ بَيْنَ مَعْنَى الْحُرِّيَّةِ وَمَعْنَى الْاسْتِعْبَادِ. نَسْمَعُ صَوْتًا يَدْعُونَا إِلَى التَّحَرُّرِ مِنْ وَصَايَا اللَّهِ وَنَتَصَوَّرُ أَنَّهَا قَيْدٌ يَقِيدُنَا. فَنَهْمَلُ تِلْكَ الْوَصَايَا وَنَدْعُهَا جَانِبًا وَنَسْلُكُ حَسَبَ مَا تَمْلِيهِ عَلَيْنَا رَغَبَاتُ الْجَسَدِ وَأَهْوَاءُ النَّفْسِ الْمَخْدُوعَةِ. وَلَا يَمُرُّ عَلَيْنَا وَقْتُ طَوِيلٍ حَتَّى نَكْتَشِفُ أَنَّهُ صَوْتُ مَخَادِعٍ لِعَدُوِّ مَآكِرٍ. أَوْعِنَا فِي الْفَخِّ وَقَيْدِنَا بِقَيْدِ الْخَطِيئَةِ. أَوْلَيْسَتْ هَذِهِ هِيَ قِصَّةُ كُلِّ خَاطِيٍّ؟. إِنَّهَا تَبْدَأُ بِعَصِيَانِ وَصَايَا اللَّهِ وَتَنْتَهِي بِقَيْدِ وَسَلْسِلِ. لَا سَبِيلَ لِلْفِكَكِ مِنْهَا بِقُوَّةٍ أَوْ فَدْرَةٍ بَشَرِيَّةٍ.^٣

هَذَا مَا حَدَّثَ مَعَ الشَّعْبِ الْقَدِيمِ بِعَصِيَانِهِمْ وَصَايَا اللَّهِ. لَقَدْ فَقَدُوا حُرِّيَّتَهُمْ وَاسْتَعْبَدَهُمُ الْبَابِلِيُّونَ. إِنْ الْأَشْرَارَ حِينَ يَجِدُونَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَهُمْ يُحَاوِلُونَ جَذْبَهُمْ إِلَيْهِمْ بِحِيلَةٍ مَآكِرَةٍ. لَقَدْ طَلَبَ الْبَابِلِيُّونَ عِبَادَ الْأَصْنَامِ مِنْ شَعْبِ اللَّهِ الذِّينَ عَلَقُوا أَعْوَادَهُمْ عَلَى أَشْجَارِ الصَّفَصَافِ أَنْ يَرْتِّمُوا لَهُمْ تَرْنِيمَةَ الرَّبِّ. يَقُولُ الْمَرْثَمُ فِي مَزْمُورِهِ: "سَأَلْنَا الذِّينَ سَبُّونَا كَلَامَ تَرْنِيمَةٍ. وَمُعَذِّبُونَا سَأَلُونَا فَرَحًا قَائِلِينَ: رَتِّمُوا لَنَا". يَخْدَعُنَا الْعَدُوُّ وَيَظْهَرُ كَأَنَّهُ يَسْتَمِعُ بِمُوسِيقَانَا حِينَ نَعْرِفُ أَحَانَ التَّمَجِيدِ وَالتَّعْظِيمِ لِاسْمِ إِلَهِنَا. وَيُشَجِّعُنَا لِنَفْرَحَ مَعَهُ وَلَيْسَ بَعِيدًا عَنْهُ. إِنَّهَا خَطَةٌ لِإِبْلِيسَ لِرُبْحِ نَفُوسِنَا لِيَضْمُنَنَا إِلَى مَمْلَكَتِهِ. فَإِذَا انْطَلَقَتْ عَلَيْنَا أَكْذُوبَتُهُ تَحَوَّلَتْ مُوسِيقَانَا وَأَغَانِيُنَا إِلَى اتِّجَاهِ يُرْضِي الْعَدُوَّ وَيُحْزِنُ رُوحَ اللَّهِ. لَمْ تَنْتَلِ الْحِيلَةَ عَلَى مَرْثَمِ الْمَزْمُورِ فَأَجَابَ أَعْدَاءَهُ بِقَوْلِهِ: "كَيْفَ نَرْتِّمُ تَرْنِيمَةَ الرَّبِّ فِي أَرْضٍ غَرِيبَةٍ". يَقُولُ بُولُسُ

^١ سفر المزمير ١٣٧: ١ - ٤ ، استمع إلى الإنجيل

^٢ سفر نحemia ١: ٣ - ٥

^٣ إنجيل يوحنا ١٠: ٢٧ - ٣٠

الرَّسُولُ: "وَلَا عَجَبَ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يُغَيِّرُ شَكْلَهُ إِلَى شِبْهِ مَلَكَ نَورٍ". إِنَّ الْخَاطِيَّ يَفْجَأُ بِأَنَّهُ فَرِيْسَةٌ لِعَدُوِّ جَبَّارٍ لَا يَرْحَمُ. وَأَنَّهُ أَصْبَحَ مِنْ أَتْبَاعِهِ مُنْتَسِبًا إِلَى مَمْلَكَتِهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي. وَمُحَالٌّ أَنْ يَتَحَرَّرَ مِنْ قِيُودِهِ مَا لَمْ يُسْرِعْ إِلَى الْمُحَرَّرِ الْأَعْظَمِ ابْنَ اللَّهِ الَّذِي قَالَ عَنْ نَفْسِهِ: "إِنَّ حَرْرَكُمْ الْإِنِّ فِي الْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا" وَمُحَالٌّ أَنْ يُدْرِكَ الْحَقِيقَةَ مَا لَمْ يَفْتَحْ عَيْنِيهِ الْمَغْمُضَةَ لِيرَى النُّورَ. وَمَا لَمْ يَصْنَعْ بِأَذْنِيهِ لِلصَّوْتِ الْمُنَادِي لِجَمِيعٍ: "تَعَالَوْا إِلَيَّ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ".^١

لَقَدْ كَتَبَ بُولُسُ الرَّسُولُ فِي رِسَالَتِهِ الثَّانِيَةِ إِلَى مُؤْمِنِي كورنثوس الأصْحَاحِ السَّادِسِ: "لَا تَكُونُوا تَحْتِ نِيرٍ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُ آيَةٌ خُلْطَةٌ لِلْبِرِّ وَالْإِثْمِ. وَآيَةٌ شَرِكَةٌ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ. وَأَيُّ اتِّفَاقٍ لِلْمَسِيحِ مَعَ بَلِيْعَالٍ. وَأَيُّ نَصِيبٍ لِلْمُؤْمِنِ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ. وَآيَةٌ مُوَافَقَةٌ لِهَيْكَلِ اللَّهِ مَعَ الْأَوْثَانِ؟". شَتَانِ الْفَرْقُ بَيْنَ نِدَاءِ الرَّبِّ وَهُوَ يَسْأَلُكَ أَنْ تَأْتِيَ إِلَيْهِ لِيرِيحَكَ وَنِدَاءِ إِبْلِيسَ عَدُوِّكَ الَّذِي يُعَذِّبُكَ. يَسْأَلُكَ لِتَفْرَحَ مَعَهُ عَلَى أَرْضِيهِ. وَمُعَذِّبُونَا سَأَلُونَا فَرِحًا قَائِلِينَ: رَيِّمُوا لَنَا. فَكَانَتْ الْإِجَابَةُ رَفُضًا: إِنَّهَا تَرْنِيمَةُ الرَّبِّ. تَرْنِيمَةُ الْفَرَحِ وَالْبَهْجَةِ. وَهُمْ مُعَذِّبُونَا. أَخَذُونَا أَسْرَى مُقَيِّدِينَ بِالْأَغْلَالِ. حَرَمُونَا حُرِّيَّتَنَا وَأَرْضَنَا وَبُيُوتَنَا وَكُلَّ مَا لَنَا. فَكَيْفَ نَرْتَمُ، وَكَيْفَ تَسْتَجِيبُ لَنَا أَعْوَادُنَا؟^٢

مِنْ أَيْنَ تَأْتِي الْأَنْغَامُ الشَّجِيَّةُ وَالْأَلْحَانُ الْعَذْبَةُ. هَيْهَاتَ!. سَأَلُوهُمْ الْأَعْدَاءُ كَلِمَاتِ تَرْنِيمَةٍ وَلَكِنَّهُمْ مُتَأَلِّمُونَ. وَطَلَبُوا مِنْهُمْ الْفَرَحَ لَكِنَّهُمْ حَزَانِي لَا يَسْتَطِيعُونَ. مَا لَمْ تَعْتَرَفْ النَّفْسُ مِنْ أَيْنَ سَقَطَتْ وَتَتَوَبَّ، فَلَنْ تَتَحَرَّرَ مِنْ رُبُطِهَا. مَا لَمْ تَرْجِعْ إِلَى رَئِيسِ السَّلَامِ لِتَتَالَ غُرْرَانًا وَسَلَامًا، سَتَبْقَى الْأَعْوَادُ عَلَى الصِّفَصَافِ. وَسَتَبْقَى الدَّمُوعُ مُنْسَابَةً عَلَى الْوُجُوهِ الْعَابِسَةِ. هَيَّا بِنَا أَخِي نَطْلُبُ السَّلَامَ مِنْ رَبِّ السَّلَامِ. وَنَسْتَرْجِعُ الْأَعْوَادَ مِنْ عَلَى الصِّفَصَافِ وَنَسْبُحُهُ بِتَرْنِيمَةِ الْحَمْدِ وَالشُّكْرِ. لَقَدْ فَتَحَ لَنَا بَابًا لِلدُّخُولِ إِلَى عَرْشِ نِعْمَتِهِ فَلِنَطْلُبْ رَحْمَتَهُ. إِنَّهُ يَدْعُوكَ أَخِي تَعَالِ.^٣

ثَانِيًا: سَلُوكُنَا وَتَصَرَّفَاتُنَا انْعِكَاسٌ لِحَالَّتِنَا الرُّوحِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ.. جَاءَ بِالْأَصْحَاحِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ سَفَرِ أَعْمَالِ الرَّسُلِ أَنْ: "اللَّهُ لَا يَتْرُكُ نَفْسَهُ بِلَا شَاهِدٍ". فَالْمُحَدِّثُ عَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ يَنْتَابُهُ إِحْسَاسٌ دَاخِلِي أَنَّهُ عَلَى خَطَأٍ. وَأَنَّهُ بَعِيدٌ عَنِ الْحَقِّ حَتَّى لَوْ وُضِعَ قَنَاعًا لَيْسْتَرَّ خَلْفَهُ. وَالْخَاطِيَّ يَنْتَابُهُ تَأْنِيْبٌ دَاخِلِي عَلَى ذُنُوبِهِ. لِأَنَّ هُنَاكَ صَوْتًا يَتَرَدَّدُ دَاخِلَ ضَمِيرِ الْإِنْسَانِ هُوَ صَدَى لِصَوْتِ اللَّهِ الْمُحِبِّ يَقُولُ: "أَذْكَرُ مِنْ أَيْنَ سَقَطْتَ وَتَبَّ". أَحْسَسِ الشَّعْبُ وَهُمْ فِي السَّبْيِ أَنَّهُمْ أَضَاعُوا أَنْفُسَهُمْ بِبُعْدِهِمْ عَنِ الرَّبِّ. وَتَبْقُضُ ضَمِيرُهُمْ وَعَرَفُوا أَنَّ تَرْنِيمَةَ الرَّبِّ مِنَ الْمُقَدَّسَاتِ وَلَا يَجُوزُ ابْتِدَالُهَا فِي الْأَرْضِ الْغَرِيبَةِ مَعَ شَعْبٍ يَتَّبِعُ لِلْأَوْثَانِ. لِذَلِكَ يَقُولُ الْمَرْثَمُ انْعِكَاسًا لِحَالَّتِهِمُ الرُّوحِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ: "بِكَيْتْنَا أَيْضًا عِنْدَمَا تَذَكَّرْنَا صِهْيُونَ. عَلَى أَنهَارِ بَابِلَ هُنَاكَ جِلسْنَا. عَلَى الصِّفَصَافِ فِي وَسْطِهَا عَلَقْنَا أَعْوَادُنَا". لَا سَلَامَ بَلْ ضَيْقٌ وَاضْطِرَابٌ دَاخِلَ رُوحِ الْإِنْسَانِ طَالَمَا هُوَ بَعِيدٌ عَنِ رَبِّهِ خَارِجٌ عَنِ طَاعَتِهِ. جَاءَ ذَلِكَ بِسَفَرِ إِشْعِيَاءَ الْأَصْحَاحِ السَّابِعِ وَالْخَمْسِينَ: "لَيْسَ سَلَامٌ قَالَ إِلَهِي لِلْأَشْرَارِ". وَإِذَا افْتَقَدَ الْإِنْسَانُ السَّلَامَ انْعَكَسَ ذَلِكَ عَلَى سَلُوكِهِ وَتَصَرَّفَاتِهِ.^٤

ثَالِثًا: حَاجَةُ النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الْحُرِّيَّةِ وَلَيْسَ مَا يُحَرِّرُهَا إِلَّا مَعْرِفَةُ الْحَقِّ.. لَقَدْ جَاءَ بِإِنْجِيلِ مَتَّى الْأَصْحَاحِ السَّادِسِ عَشَرَ قَوْلَ الرَّبِّ: "لِأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الْإِنْسَانُ لَوْ رَجَحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ أَوْ مَاذَا يُعْطَى الْإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ". إِنَّ حَاجَةَ النَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الْحُرِّيَّةِ. وَلَيْسَ مَا يُحَرِّرُ النَّفْسَ إِلَّا مَعْرِفَةُ الْحَقِّ. وَبِإِنْجِيلِ يُوحَنَّا الْأَصْحَاحِ الرَّابِعِ عَشَرَ جَاءَ قَوْلُ الرَّبِّ يَسُوعَ لِتَلْمِيذِيهِ تَوْمًا: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ إِلَّا الْآبُ الْآبِي". فَيَسُوعُ هُوَ الْحَقُّ وَمَنْ عَرَفَ يَسُوعَ عَرَفَ الْحَقَّ وَنَالَ الْحُرِّيَّةَ. إِنَّ النَّفْسَ الْبَشَرِيَّةَ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ خَلَقَهَا لِتَخْضَعَ لِرُوحِ الْقُدُوسِ. وَهُوَ وَحْدَهُ الَّذِي يُحَرِّرُهَا مِنْ كُلِّ قَيْدٍ. وَيُطَهِّرُهَا وَيُقَدِّسُهَا وَيَمْلؤها بِرُوحِهِ لِتَعْمَلَ مَشِيئَتَهُ.^٥

عَزِيزِي الْقَارِي.. أَدْعُوكَ لِتَشْتَرِكَ مَعِي فِي تِلْكَ الصَّلَاةِ: أَبَانَا السَّمَاوِيِّ.. أَتَى إِلَيْكَ طَالِبًا رَحْمَتِكَ. فِي دَمِ الصَّلِيبِ إِيْمَانِي وَتَقْتِي وَحَاجَتِي. أَشْكُرُكَ إِلَهِي. فَلَقَدْ اخْتَبَرْتُ الْفَرَحَ فِي مَحْضَرِكَ وَالسَّلَامَ فِي الْقَرَبِ مِنْكَ. أَرْفَعُ صَلَاتِي فِي اسْمِ يَسُوعَ فَادِينَا الْبَارِ. مُتَكِلًا عَلَى وَعْدِكَ الصَّادِقِ. يَا مَنْ قُلْتَ: مَنْ يُقْبَلُ إِلَيَّ لَا أَخْرُجُهُ خَارِجًا.

أَخِي الْقَارِي الْعَزِيزِ.. إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ تِلْكَ الرِّسَالَةِ أَوْ غَيْرَهَا سَتَجِدُ ذَلِكَ فِي:

<http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm>

^١ رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ١١: ١٤ ، إنجيل يوحنا ٨: ٣٦ ، إنجيل متى ١١: ٢٨

^٢ رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ٦: ١٤ - ١٦

^٣ سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي ٢: ٥

^٤ سفر أعمال الرسل ١٤: ١٧ ، سفر إشعيا ٥٧: ٢١

^٥ إنجيل متى ١٦: ٢٦ ، إنجيل يوحنا ١٤: ٦